[سورة ص: ثمانون وثمان آيات][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ ﴾

أكثرُ القرَّاء على الوقفِ، ويقرأ بالكسر والفتح [2] لالتقاء الساكنين، أو طريقة: الله لأفعلن، فيكون حرف القسم محذوفًا وقد أفضى الفعل إليه، أو يكون مضمرًا والفتح لمنع الصرف، فإنها اسم السورة، ويقرأ بالجر والتنوين[3]؛ لكونه اسم الكتاب، وحمل قراءة الكسر على أنه من المصاداة، أي: عارض القرآن بعملك من الامتثال بأوامره والانتهاء عن نواهيه، ومنه الصدى لمعارضته ما يسمع من الأجسام الصلبة للصوت، ووجه النظم أن جعل ﴿صٓ﴾ للإشعار بالتحدي به أن يكون القسم لتحقيق ذلك، وحَذْف جزائه لتلك القرينة، أي: وحق القرآن ذي الذكر أنه لمعجز، أو لواجب العمل به، أو أنّ محمدًا ﷺ صادق، وكذلك التقدير؛ إذا جعل ﴿صٓ﴾ مقسمًا به، أي: أقسم بصاد [4] والقرآن ذي الذكر.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج، ح)، ليست في الأصل ولا في باقي النسح.

(٢) قرأ بالكسر -أي: (صادِ) - أبيّ وابن أبي إسحاق والحسن وأبو السمال، وهو اختيار الشافعي.
وقرأ بفتحها -أي: (صادَ)- عيسى بن عمر. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٩)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٩).

(٣) أي: (صادٍ). ذكرها الزمخشري من غير نسبة. ينظر: الكشاف (٤/٧٢).

(٤) في (ح): (بـ﴿صٓ﴾).

وقيل: الجواب: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ ﴾ [ص: ١٤]. وإن جعل خبر المبتدأ على أنه اسم السورة فالتقدير: هذه صاد التي تحدى بها.

﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ كما يقال: هذا حَاتِم والله [١].

ومعنى الإضراب أنه ما يذكر من نزل لخلل فيه [٢]، بل لأن الكافرين في استكبار عن الحق ومخالفة لله ولرسوله، والتنكير للتعظيم. ويقرأ: ﴿ فِي غِرَّةٍ ﴾[٣] أي: في غفلةٍ من النظَر.

والقرآن جاز أن يراد به السورة، وأن يراد به ما عداه من القرآن، وحينئذ يكون من عطف الأعم على الأخص، فلا يكون كزيد، والنسمة المباركة يراد بها واحد [٤]، والذكر: الشرف، أو المنع من القبيح، والمذكور المشهور: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أو الذكرى والموعظة، أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين.

و﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ أي: كم قرنًا أو مرة أهلكنا من قبل قومك من أمة، وهو وعيد لأهل العزة والشقاق.

﴿ فَنَادَوا۟ ﴾ بالاستعانة أو التوبة، وليس ذلك الحين حين الفرار.

و(لا) هي المشبهة بـ(ليس)، وزيادة تاء التأنيث عليها كزيادتها على (ثُمَّ) و(رُبَّ) للتأكيد، وتقترن بالاختصاص بالدخول على الأحيان، ولم يظهر اسمها وخبرها، بل أحدهما،

---

(١) قال الزمخشري: "تريد: هذا هو المشهور بالسخاء والله". الكشاف (٤/٧٢).

(٢) قال البيضاوي: " أي: ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه ". أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص٥٩٩).

(٣) عن ابن مسعود وحماد بن الزبرقان. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٢٩-١٣٠)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٩).

(٤) قال الزمخشري: "﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ﴾: جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل كله، وأن تريد السورة بعينها. ومعناه: أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر، كما تقول: مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة، ولا تريد بالنسمة غير الرجل". الكشاف (٤/٧٢).

هذا عند سيبويه والخليل. ونصب الحين بها، أي: ليس الحينَ مناص، والرفع على: ولات حينُ مناصٍ حاصلًا لهم.

وفي الذي تقدَّم نظرٌ باعتبار ما سبق أنه لا يذكر لها الاسم والخبر معًا.

وعند الأخفش هي النافية للجنس، اختُصّت [1] بالدخول على الأحيان، ونصب بها ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾. وعنه: أن ما بعده منصوب بفعل مضمر، أي: ولا أرى، ويرتفع بالابتداء، أي: ولا حين مناص كان لهم.

ويقرأ بالجر [2] كما نقل عنهم: (وَلَات أوانِ)؛ تشبيها له بـ(إذ) في قولهم: وأنت إذ صحيحٌ؛ فإنَّ كُلًّا زمانٌ قُطع فيه المضافُ إليه وعوِّض التنوين، إذ الأصل: ولات أوان صلح، و(حين مناص) وإن لم يحذف ما أضيف إليه نزل منزلة ما قطع عنه؛ لأن أصله مناصهم؛ لأن المضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد، وبنى الحين لكونه مضافًا إلى غير متمكِّن.

ويقرأ: (لاتِ) بالكسر [3] كجَيرِ، والوقف عليه بالتاء كالوقف على فعل اتصل به تاء التأنيث، والكسائي بالهاء. وما قيل: إن التاء دخلت على (حين) اعتمادًا على كِتْبَتِه [4] في الإمام [5] كذلك، فلا عبرة به؛ لأن جعله لا يقاس عليه.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾

---

(١) في (أ، ح): (اختص).

(٢) أي: (حينِ مناص). عن عيسى بن عمر. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٩).

(٣) عن عيسى بن عمر. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٣٠)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٩).

(٤) في (ح): (كتبه).

(٥) أي: في المصحف الإمام مصحف عثمان ﷺ. وقد نقل النحاس في إعراب القرآن (٣٠٣/٣) عن أبي عبيد القاسم بن سلاّم قال: "نظرتُ في الإمام مصحف عثمان ﷺ، وكان التاء متصلًا بحين".

أي: عجِبَت الكفار مجيءَ محمَّد ﷺ منذرًا استبعادًا لكون الرسول بشرًا.

ووضع المظهر موضع ضمير (هم) لبيان سبب صدور هذا القول، فإنه لا يقوله إلا المتوغِّل في الكفر، حيث يُكذِّب الرسولَ المصدَّق بالمعجزة، ويتعجَّب من التوحيد مستحسنًا[1] للشرك.

رُوي أنه لما أسلم عمر رضي الله عنه شق عليهم فمشى بعض صناديدهم إلى أبي طالب وقالوا: أنت شيخنا، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، جئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فاستحضر أبو طالب رسول ﷺ، وقال: يا ابن أخي، هؤلاء يسألونك السؤال فلا تَمِل كلَّ الميل على قومك، فقال عليه السلام: ((**ماذا يسألوني؟**)) قالوا: ارفضنا وارفض آلهتنا وندعك وآلهتك، فقال عليه السلام: ((**أريتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطيّ أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟**)) قالوا: وعشر أي: كلمات معها، فقال: ((**قولوا: لا إله إلا الله**)) ، فقالوا: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا؟! إن هذا لشيء بليغ في العجب، وإنه خلاف ما أطبق عليه آباؤنا، وما يشاهد أنَّ الواحدَ كَفى علمُه وقدرتُه بالأشياء الكثيرة[2].

ولهذا هو[3] سبب ذلك أنهم[4] ما كانوا أهلَ النظر، بل أوهامهم كانت تابعة للمحسوسات، فقاسوا الغائب على الشاهد، وقالوا: لا بد من حفظ[5] هذا العالم الكثير من آلهة كثيرة، وهو قريب من شبهة المعتزلة حيث قالوا: هذا قبيح منَّا فيكون قبيحًا [٧٥٦/أ] من الله تعالى، كقياس الغائب على الشاهد، وشبَّهتهُ المشَبِّهَة حيث قالوا: كل موجود في

---

(١) في الأصل: (متحسنًا)، وما أثبته من (ب، ج).

(٢) ينظر: أسباب النزول للواحدي (ص٤٢٤)، تفسير البغوي (٧/٧١).

(٣) كذا العبارة في جميع النسخ.

(٤) في (أ، ح): (لأنهم).

(٥) في (أ، ب، ج): (حفظه). ولعل صواب العبارة: (لا بدَّ في حفظ).

الشاهد جسم، ومختص بحيز، فيكون الصانع كذلك. ونسبوه إلى السحر والكذب على الله فيما يقوله[1].

ويقرأ على ...[2] كُبَّار مشدَّدًا.

ومعنى ﴿ أَجَعَلَ ﴾ أي: صيَّر، مثل: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [الزخرف: ١٩].

﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾

أي: انطلق أشراف قريش من مجلس أبي طالب، يقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا، فلا قدرة لكم في دفع دين محمد ﷺ، إنَّ هذا الأمر -أي: التوحيد- لشيء يريده الله، فلا دافع له، أو يريده النبي ﷺ، أو من نوائب الزمان يراد بنا، أو أن دينكم شيء يراد أن يؤخذ منكم.

و﴿ أَنِ ﴾ هي المفسرة؛ لأن انطلاقهم قد تضمن القول، أو المراد به الاندفاع فيما يجري بينهم من القول، وأنهم قالوا: أكثروا[3]، من قولهم: مشت المرأة كثرت ولادتها، ومنه الماشية، يقال: للتفاؤل، والصبر على الآلهة الصبر على عبادتها.

ويقرأ بدون ﴿ أَنِ ﴾[4]، على إضمار القول. و: ﴿ يمشون أنِ اصبروا ﴾[5].

---

(١) في (ح): (يقول).

(٢) هنا كلمة لم تتّضح لي في النسخ الخطية، والمناسب للسياق كلمة (مثل)، والمقصود أنَّ (عُجاب) يقرأ على مثل كُبَّار، أي: بتشديد الجيم. وهي قراءة علي بن أبي طالب والسلمي. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٣٠)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٩).

(٣) في جميع النسخ عدا (ن): (أكثر)، والمثبت من (ن)، وهو الأنسب.

(٤) عن ابن أبي عبلة. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٩).

(٥) عن ابن مسعود. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٣١).

و﴿ ٱلْمِلَّةِ ٱلْأَخِرَةِ ﴾: ما أدركوا عليها آباءهم، أو ملة عيسى عليه السلام؛ لأن النصارى ليسوا موحدين. وقيل: واليهودية[1]، أو ما نحن عليه. وقيل: المعنى: كائنًا فيها، فالملة الآخرة حال من هذا، وعلى فرض تعلقها بـ﴿ سَمِعْنَا ﴾ معناه: ماسمعنا من أهل الكتاب والكهان حدوث التوحيد في الملة الآخرة. ولقائل أن يقدح فيه لقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ [البقرة: ٨٩]، فإن من المشهور أن أهل الكتاب قد أخبروا ببعثة النبي عليه السلام، اللهم إلا أن يقولوا ذلك كاذبين.

الاختلاق: الكذب الذي اختلقوا من نفسه.

﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾

هذا كالبيان لمقتضى الإنكار والمقاولة، حيث استبعدوا، وكونهم في شك من كونه من عند الله دليل على أن نسبة الاختلاف للحسد، [بل][2] سبب الشك أنهم لم يذوقوا عذاب الإنكار، فإذا أصابهم اعترفوا اضطرارًا. ويحتمل أن يكونوا معترفين لأنه يصير الغيب شهادة، وإنكار كون الرحمة بأيديهم رد لمنع اختصاصه عليه السلام بالنبوة؛ لأنه إذا كانت تلك الخزائن لله فله أن يخص بها من يشاء من عباده بمقتضى الحكمة البالغة، لا مدخل لهم فيها ليختاروها لمِثْل الوليد بن المغيرة كما قال سبحانه: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾[الزخرف: ٣٢].

فإن قيل: ما وجه الوصف بالعزة هنا؟

قلنا: لما كانوا دافعين لما أراد الله من موهبة النبوة بيَّن أنَّ الله هو الغالب، لا دافع لما يريده، وهو كثير المواهب، فله أن يَخُص بها من شاء[3].

---

(١) هكذا في جميع النسخ: "واليهودية" بالواو.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وهو ثابت في (ن).

(٣) في (ح، ج): (يشاء من عباده).

﴿ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ﴾

جعل ذلك من باب الترشيح، وإنما يصح أن لو كان ملك السموات من جملة خزائن الرحمة، فكأنه قال: كيف يتكلمون في التدبيرات الإلهية وليس لهم في عالم الأفلاك والعناصر التي هي من الجسمانيات؟! وهي بالنسبة إلى الأمور المعنوية كالشيء التافه، بل ذلك مختص بإله العالم ذي العزة والكبرياء.

وقوله: ﴿ فَلْيَرْتَقُوا۟ ﴾ جواب لشرط مقدر دل عليه السياق، أي: إن كانوا قادرين على قسمة الرحمة، عالمين بمن هو صالح للنبوة، فليصعدوا في طرق العرش حتى يدبروا أمر الملكوت، وينزل الوحي إلى من هو مستعد للنبوة، ثم تحكم بهم وحقرهم عن هذه بأنهم جندٌ مَّا، وزيادة ﴿ مَّا ﴾ للتحقير؛ لأنها وإن كانت تستعمل للتعظيم لكن القرائن تشعر بأنها للاستهزاء بهم، لقول امرئ القيس:

وحديثٌ مَّا على قِصَرِه[1]

وقيل: هي للتقليل؛ أكلت شيئًا مَّا، ومنه ﴿ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾[البقرة: ٢٦]، مكسور عن قريب، فلا تكترث بما يقولون، و﴿ هُنَالِكَ ﴾ أشير به إلى الارتقاء.

و﴿ ٱلْأَحْزَابِ ﴾: الكفار الماضية، وقيل: إبليس وجنده.

و﴿ مِّنَ ﴾ صلة ﴿ جُندٌ ﴾.

وقيل: ﴿ هُنَالِكَ ﴾ إشارة إلى بدر وما جرى فيه.

(١) عجز بيت لامرئ القيس، وصدرُه: وحديثُ الركبِ يومَ هُنَا. ينظر: ديوان امرئ القيس (ص٧٦).

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾

أي: كذبت قبل أهل مكة هؤلاء الأقوام رسلهم.

و﴿ذُو الْأَوْتَادِ﴾ مستعار من ثبات البيت المطنب بأوتاده لثبات الملك والعز، كما قال الأسود:

ولقد غدوا فيها بأنعم عيشةٍ في مُلْكِ مَلِكٍ ثابت الأوتاد [1]

وقيل: كان يضرب مسامير الحديد إلى الأطراف الأربعة إلى أن يموت، وقيل: يمده بين أربعة أوتاد على الأرض، ويسلط عليه الحيات والعقارب، أو أوتاد وحبال بلغت بها عنده، والأول أولى لأنه وصف بالتكذيب في الإهلاك مع القوة أبلغ، وقيل: هي كثرة أوتاد خيام العساكر.

و﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ إشارة إلى الجند المنهزم، أخبر عن تكذيبهم على وجه الإبهام، ثم أوضحه ثانيًا مع زيادة تكذيب كل الرسل، فإن من كذّب نبيًا فكأنه كذّب جميع الأنبياء. وفي الاستثنائية تأكيد بليغ باعتبار التخصيص المقتضي لأبلغية العذاب.

و﴿هَؤُلَاءِ﴾ قيل: أهل مكة، وهو المناسب، وقيل: جميع الأحزاب؛ لجريان ذكرهم، فهم كالحضور عند الله.

والصيحة: النفخة الأولى.

والفواق: [٧٥٦/ب] ما بين حلبتي الحالب، أي: حينئذ لا يؤخروا، هذا القدر وما لهم من توقف.

---

(١) البيت للأسود بن يعفر بن عبد القيس النهشلي. ينظر: نهاية الأرب للنويري (٥٩/٣).

وقرئ بضم القاف [1]، وهو اسم ذلك الزمان، وقيل: [ما لها رجوع، من فواق المريض][2]، وهو رجوعه إلى الصحة، وفواق الناقة رجوع اللبن إلى ضرعها، وقيل: هو عذاب يفجؤهم، قال الشاعر:

صاح الزمان بآل برمكَ صيحةً خروا لشدتها على الأذقان

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾

لما تعجبوا للأمور الثلاثة: الإلهيات والنبوات والمعاد، ذَكَروا لكلٍّ كلامًا يناسب التكذيب.

والقِطّ من الشيء: القِسط؛ لأنه قطعة منه، يقال: قطّه، أي: قطعه، أي: عَجِّل نصيبنا من العذاب الموعود.

ومناسبة قصة داود عليه السلام تعظيم أمر معصية الله في أعين الكفار، فإنه مع علو مرتبته في النبوة واختصاصه بعظائم المكرمات من المعجزات والملك، لـمَّا أتى صغيرة [3] أو ترك الأولى نزل عن منزلته، ووبخته الملائكة بالتعريض[4]، حتى أدرك المراد، واستغفر ربه وأناب، فما ظن الكفار والعصاة؟! أو المراد: تحذير النبي عليه السلام عن إهمال ما يقتضي مثل ذلك.

و﴿الْأَيْدِ﴾: القوة، يقال: فلان أيِّد كهيِّن، وذو أيد، وذو أياد، بمعنى.

---

(١) كذا في جميع النسخ، ولعله سبق قلم، صوابه: (بضم الفاء)؛ فإني لم أجد إشارة إلى قراءة ضم القاف. وقد قرأ حمزة والكسائي وخلف (فُواق) بضم الفاء، وقرأ الباقون: (فَواق) بفتحها. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٨٠).

(٢) في الأصل: (ما لها فواق من رجوع المريض، وهو رجوعه إلى الصحة)، وما أثبته من (ن).

(٣) في (ح): (بصغيرة).

(٤) في الأصل: (بالتعرض)، والتصويب من (ن).

والأوَّاب: الرجَّاع إلى مرضاة الله سبحانه، وترتيبه على الأيد مشعر بأن المراد القوة في الدين، وكان من عبادته أنه يقوم نصف الليل، ويصوم يومًا ويفطر يومًا [(١)]، هكذا ورد في حديث النبي عليه السلام[(٢)]، ومنه القيام بميثاق النبوة والملك.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾

قد سبق الكلام في التسبيح في سبأ، وحمل ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ على أنه حال.

ولقائل أن يقول: الاستئناف أولى ليكون التسخير بالتسبيح لداود عليه السلام، والعدول عن مستجاب إذا جعل حالًا إليه للدلالة على أن صدور التسبيح منها كان يحدث شيئًا بعد شيء، وهذا يحتاج إلى نقل بأنه كان كذلك، ويحتمل أن يستدلَّ بما نقل عن ابن عباس: (كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح).

﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾: حين تضيء الشمس ويصفو شعاعها، وهو وقت الضحى، وشروقها طلوعها، أو من أشرق القوم إذا دخلوا في الشرق، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: ٧٣]، وقول أهل الجاهلية: (أشرق ثبير) [(٣)]، لجبل المدينة، ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق، روي أن النبي ﷺ صلى الضحى وقال لأم هانئ [(٤)]: ((**هذه صلاة**

---

(١) في (أ، ح): (ويفطر يومًا ويصوم يومًا).

(٢) وذلك في قوله ﷺ: ((**أحبّ الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، وكان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يومًا ، ويفطر يومًا**)). أخرجه البخاري في أبواب التهجد، باب من نام عند السحر (١٠٧٩)، ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا (١١٥٩)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب متى يدفع من جمع (١٦٠٠) عن عمر رضي الله عنه قال: (إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون: أشرق ثبير).

(٤) هي: أم بنت عم النبي ﷺ أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، الهاشمية المكية، أخت علي وجعفر رضي الله عنهما، واسمها: فاختة، وقيل: هند، تأخر إسلامها إلى يوم الفتح، ودخل النبي ﷺ إلى منزلها يوم الفتح، وقد عاشت إلى بعد سنة خمسين. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة =

الإشراق))[1]، واستدل ابن عباس بها على أن صلاة الضحى في القرآن، وقال: (كان صلاة يصليها داود)، وقال: (لم يزل في نفسي شيء من صلاة الضحى، حتى طلبتها فوجدتها في هذه الآية)، وقال: (ما عَرفتُ إلا بها).

﴿ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةً ﴾ إلى داود من كل جانب، وإنما لم يقل: يحشرن؛ لأن الحشر جملةً واحدةً أدل على القدرة من التدرّج شيئًا فشيئًا، كما كان في التسبيح بالعكس.

ويقرأ: ﴿وَٱلطَّيۡرُ﴾[2] على الابتداء.

وعن ابن عباس ﷺ: (كان إذا سبَّح اجتمعت إليه الطير وسبَّحت).

وكل من الجبال والطير لأجل داود أوَّاب، أي: رجَّاع بالتسبيح لتسبيحه، أو إطلاق الأواب على المسبِّح لأن الأوَّاب الرجَّاع عن التوبة بذكر الله كثيرًا، وإن جعل الضمير لله فالمعنى: كل من داود أيضًا مرجع بالتسبيح.

﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ٢٠ ﴾

أي: بالجنود والنصرة والهيبة، وقيل: كان ثلاثة وثلاثون ألفًا يحرسون محرابه كل ليلة[3].

ووجه الهيبة أن غلامًا استعدى على رجل، وادعى عليه بقرة، فأنكر المدَّعى عليه ولطمه، فسأل داود البينة، فلم يقمها، فرأى داود في المنام أن يقتل المدَّعى عليه ويسلِّم البقرة إلى الغلام، فتوقف لكونه منامًا، فأوحي إليه بذلك، فجزعت بنو إسرائيل، فاعترف

= (٥٤٥/١).

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٠٦/٢٤) من طريق أبي بكر الهذلي، عن عطاء، عن ابن عباس، عن أم هانئ به. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٩/٧): "فيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف".

(٢) عن إبراهيم بن أبي عبلة. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٣٠)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٩).

(٣) قال أبو حيان عن مثل هذا العدد: "وهذا بعيد في العادة". البحر المحيط (١٤٦/٩).

الرجل بأنه قتل أباه غيلة، وأخذ منه البقرة، فعظمت هيبته واشتد ملكه، وقالوا: يحكم بوحي السماء.

ويقرأ بالمبالغة[1].

و﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: النبوة، أو الفهم، أو الزبور والعلم، أو علم الشرائع.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ قيل: القضاء بالبيِّنة واليمين، وكان قبل ذلك قد علَّق الله سلسلة من السماء يقدر المحق على أخذها، فادَّعى رجل على آخر درة، فادَّعى أنه ردها عليه، وذلك بأن ركبها في عصاه، فلما أراد أن يأخذ السلسلة سلم إليه العصا، وأخذ السلسلة، فرفعت.

والفصل: التمييز بين الشيئين، وقيل: الكلام البيِّن. فصل بمعنى المفصول، كضرب الأمير وهو نقيض كلام فيه، وما قيل: إنه الكلام البيِّن من الكلام الملخص الذي يبينه من يخاطب به من غير أن يتلبس عليه؛ لأنه يشمل ما سبق، وأن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل، فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه، ولا يقف على ويل للمصلين، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ بصلة ﴿وَأَنتُمْ﴾[2] [البقرة: ٢٣٢] ورعاية الإظهار والإضمار والحذف والتكرار، وقيل: الفصل الفاصل كالصوم وهو الخطاب الذي يفصل بين الحق والباطل [٧٥٧/أ].

---

(١) أي: (وشدَّدنا). عن إبراهيم نب أبي عبلة والحسن. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٣٠)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٩).

(٢) قال الزمخشري: "ولا يتلو قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤]، إلا موصولًا بما بعده، ولا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢] حتى يصله بقوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾". الكشاف (٨٢/٤).

وكلامه في الحكومات وتدبير ملكه أشمل، ويدخل فيه قول المؤلف: أما بعد؛ لأنه يفتتح الكلام بذكر الله في الأمر الذي له اعتبار، فإذا أراد الخروج إلى عرضه فَصَلَ به بينه وبين ذكر الله.

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾

الاستفهام حمل على التعجب والتشويق إلى استماعه، وأنه مما ينبغي أن يشيع(١).

ولقائل أن يقول: الأولى أن يحمل على إنكار أن يكون قد عُلِم من غير وحي الله؛ ليكون كالمعجزة.

والنبأ: الخبر العظيم، والخصم في الأصل مصدر (٢)، فلا يثنَّى ولا يُجمع. نعم، هو صالح لهما؛ ولهذا جمع حيث أراد: (فريقان)، ويدلُّ ما يقرأ: ﴿ بَعضُهم على بعضٍ ﴾(٣)، وهو مثل: ﴿ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ ﴾ [الحج: ١٩]، ولا يدل ﴿ هَٰذَآ أَخِى ﴾ [ص: ٢٣] على التثنية؛ لأن هذا قول البعض المشار إليه بقوله: ﴿ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾، وإن صح أنهما ملكان فلعلّ معهما آخرون(٤).

والتسوّر: تفعُّل من السور، كتسنّم من السنام، أي: تصعدوا سور الغرفة، ومتعلق ﴿ إِذْ ﴾، قيل: محذوف، أي: نبأ تحاكم إذ تسوروا، أو متعلق بالنبأ على أن المراد الواقع في عهد داود، فيكون التقدير: هل أتاك قصة نبأ الخصم؟ ويجوز أن يتعلق بالخصم لما فيه من معنى الفعل، وإنما لم يتعلق بأتى؛ لأن إتيانه الرسول عليه السلام لم يكن حينئذ.

---

(١) في (ب، ح، ج، د): (أن يسمع).

(٢) في الأصل، و(ن): (المصدر)، والتصويب من بقية النسخ.

(٣) أي: بدل قوله: ﴿ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾، وهي قراءة ابن عمير. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤٠٩). وقد جاء في جميع النسخ: (بعضهم على أخص)، وهو تصحيف.

(٤) كذا في جميع النسخ، والوجه: (آخرين) لأنه اسم لعلّ مؤخّر.

﴿ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴾ لأنهم نزلوا عليه في يوم الاحتجاب، والحرس يمنعون الداخل، فإنه عليه السلام جعل يومًا للعبادة، ويومًا للقضاء، ويومًا للوعظ، ويومًا للاشتغال بخاصته، فتسور ملائكة على صور الإنسان على ما هو المشهور، وقيل: بل آدميان.

﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ عن فوجان متخاصمان، وتسمية مصاحب الخصم خصمًا يجوز، ونسبة البغي إلى الأول على الفرض والتقدير؛ لاستحالة الكذب منهم وأمر الله سبحانه به.

ومعنى: ﴿ لَا تُشْطِطْ ﴾: لا تَجُر في الفصل بيننا. ويقرأ: ﴿ لا تَشْطِطْ ﴾[1]، أي: لا تبعد عن الحق، و﴿ لا تُشَطِّطْ ﴾[2]، و﴿ لا تُشاطِطْ ﴾[3]، وفي الكل معنى مجاوزة الحد.

و﴿ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾: قصد الطريق والمقصود؛ لأن سواء الصراط يوصل إليه.

﴿ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

النعجة: الأنثى من الضأن، قيل: هذا عند من جعل الخصمين من الإنسان، وقيل: المرأة، ويعبر عنها بالشاة والقلوص، وقيل: الحسناء اللينة الجميلة من النعج، وهو: البياض واللين، أو الفتور في العين.

ويقرأ بفتح تاء التسع[1]، وكسر نون النعجة[2].

---

(١) عن قتادة والحسن وأبي حياة. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٣٠)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤١٠).

(٢) عن قتادة. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٣٠)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤١٠).

(٣) عن زر بن حبيش. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٣٠)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤١٠).

قيل: التعريض أبلغ في التوبيخ؛ لأنه [٣] حصول العلم بالمعرض به، يحتاج إلى تأمل وأجلب لاحتشامه وحيائه، لا سيما وفيه حسن الأدب بترك المجاهرة، وجرت عادة العقلاء بزجر مرتكب القبيح بالتعريض باستفتاح فعل الغير، وكون التعريض على وجه التحاكم ليكون كمن ثبت عليه الحجة، وقيل: كانوا أعداء، فقصدوا قتله، ثم وجدوا جماعة عند داود، فمنعهم ذلك.

و﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾: اجعلها في كفلي، أي: نصيبي، أو اجعلني أكفلها كما أكفل ما هو تحت يدي.

ومعنى ﴿عَزَّنِي﴾: غلبني، إما بأنه كان إذا تكلم كان أَبيَن مني، وإن بطش كان أشد، أو غلبني في الخصومة، أو قهرني، والخطاب محاصلة [٤] المحاج المجادل، أو أنه خَطَبَ امرأة خطبْتُها، فغالبني في الخطبة حيث زُوِّجَها دوني.

ويقرأ: ﴿عَازَّنِي﴾[٥]، و﴿عَزَنِي﴾ مخففًا[٦]، وهو غريب، تخفيفه مثل: ظلت، ومست.

و﴿لَقَدْ﴾: جواب قسم محذوف، وذكره على وجه التأكيد؛ لاستقباحه فعله، ولا يشكل بأنه نسبه إلى الظلم قبل أن يسمع كلام الخصم؛ لأنه محمول إما على الفرض، أو

=

(١) عن ابن مسعود والحسن وابن أبي عبلة. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٣٠)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤١٠).

(٢) عن الحسن والأعرج. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤١٠).

(٣) في (ح): (لأن).

(٤) كذا في جميع النسخ، وهو التحريف، والصواب: (مخاطبة)، كما في الكشاف (٤/٨٦): "وأراد بالخطاب: مخاطبة المحاج المجادل".

(٥) عن مسروق وأبي وائل وشقيق بن سلمة والحسن والضحاك وابن أبي عبلة. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٣٠)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤١٠).

(٦) عن أبي حياة وطلحة. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٣٠).

أنه بعد اعتراف الخصم والسؤال مصدر أضيف إلى مفعوله، وعدَّى إلى نعاجه بـ ﴿إِلَىٰ﴾ لتضمنه معنى الإضافة.

و﴿ٱلْخُلَطَآءِ﴾: - الشركاء، جمع خليط [1] كظريف- والخلطة يؤثران في غير المواشي أيضًا لكن غلبت، وأحد قولي الشافعي أن المعتبر خلط الجوار، فيؤثر في الغير، بمعنى أنه لا يتجاوز المخلوط، وأصحهما خلطة المُلْك، بمعنى أنه إذا خلط عشرين بعشرين لشخصين [2] وهو يملك عشرين غيرها يكون كأنه خلط، حتى إذا اتخذ الراعي والفحولة والمشرع والمسرح والحوض والمحلب زَكَّى زكاة الواحد، حتى يجب فيه هذه الصورة على صاحب الواحدة جزء من مائة جزء من شاة، وعلى الأمر تسعة وتسعون في غير المواشي إنما يؤثر إن اتحدا لجزئين والحارس والحصن والدكان وفيه قول أنه لا تأثير [3] لها في غير المواشي كما هو المذهب الحق.

نعم، المغفرة المخبر عنها بعد استغفاره هي الاستغفار عمَّا هم به، أو ما كان تركه أولى، وقيل: لمَّا لم يعذب أولئك الداخلين عليه مع عظم سلطانه كاد أن يداخله العجب عن تلك الحالة، فاستغفر عنها. وروي أنه بقي ساجدًا أربعين يومًا، لا يرفع رأسه إلا لواجب [4]، لواجب[4]، ولا يرقأ دمعه، حتى نبت العشب منه إلى رأسه، ولم شرب ماء إلا وثلثه الدمع، وأجهد نفسه حتى كاد يهلك، واشتغل عن الملك [٧٥٧/ب] حتى استولى ولده إيشا على الملك، واجتمع إليه أهل الزيغ من بني إسرائيل، فلما غُفِر له هزمه. وقيل: الخصمان كانا من الإنس، وكانت الخصومة واقعة، إما في الغنم، أو أنه كانت لواحد تسعًا وتسعين [5] امرأة،

(١) في جميع النسخ عدا (ن): (خليطة)، والتصويب من (ن).

(٢) في (أ، ب، ح، ج، د، ن): (لشخص).

(٣) رسمت في الأصل وبقية النسخ عدا (ح): (ثير)، والتصويب من (ح).

(٤) في الأصل: (إلا الواجب)، والمثبت من (ن).

(٥) كذا في جميع النسخ، والوجه (تسع وتسعون) بالرفع اسم كان مؤخر.

وللآخر واحدة، فاستنزله منها، ويدل على أن له عند الله القربة بعد المغفرة وحسن مرجع في الجنة.

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾

أي: جعلناك خليفة من كان قبلك من الرسل، وهو مدبر الأمر من جهة الغير على وجه البدل من تدبيره، أو استخلفناك على الملك، أو خليفة الله.

والحق: العدل الذي هو حكم الله، واتباع الهوى: الميل إلى ما تهواه النفس، فيستلزم القضاء بغير الحق، أو الجور في القضاء؛ فإن الهوى يضل عن طاعة الله، أو يستنزل عن دين الله، أو المراد بها نسيان دلائله التي نصبها في العقول.

والذين يضلون عن دين الإسلام لهم عذاب النار، حيث أعرضوا عن يوم الحساب، ولم يعملوا بما ينفعهم فيه.

و﴿ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ معلق بـ ﴿ نَسُوا۟ ﴾، وبقوله: ﴿ لَهُمْ ﴾، وعلى الأول معناه: بنسيانهم يوم الحساب، وعلى الثاني: لهم عذاب يوم القيامة بنسيانهم، أو لم يؤمنوا به، أو نسوا العمل بالعدل، وهذا التفسير يناسب ما قيل إن ذنبه المبادرة إلى تصديق المدعي، ونسبة الآخر إلى الظلم قبل مسألته، وهذا أيضًا إن صح يكون عن طريق القصد لا الفعل.

ووجه كون متابعة الهوى مقتضيةً للضلال أن الهوى يدعو إلى الاستغراق في اللذات الحسية الجسمانية، فيشغل عن طلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات. روي أن بعض ملوك بني مروان قال لعمر بن عبد العزيز: هل بلغك ما بلغنا أن الخليفة لا يكتب عليه؟ قال: الخليفة أفضل أم الأنبياء؟ ثم تلا هذه الآية.

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾

أي: خلقناها خلقًا باطلًا من غير حكمة في خلقها، أو خلقنا ذوي باطل، أي: مبطلين، أو للباطل الذي هو متابعة الهوى، بل ما خلقنا إلا للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد واتباع الشرع، كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ذكر صاحب "المفاتح" [1] سؤالًا على نظم الآيات، فقال: لما أنكر الكفار الحشر، وقالوا: ﴿عَجِّل لَّنَا﴾ [ص: ١٦]، قال الله تعالى: ﴿اصْبِرْ﴾ [ص: ١٧]، وشرع في قصة داود، وسبب ذلك أن الخصم المتعصب الجاهل المصِر كلما أطنب معه زاد نفرة. نعم، يشرع في شيء آخر، ثم يذكر في إثباته مقدمة تحصيل المقصود منها، فيبقى مُفحَمًا.

ولقائل أن يقول: الجواب على وجه لا يحتاج إلى هذا التكلف، وهو أن قصة داود دلت على صحة الحشر؛ فإن الاستغفار العظيم لأدنى شيء لا يكون إلا من خوف عقاب الله، لا سيما في الآخرة، فكأنه قال للنبي ﷺ: بيِّنْ حال داود وما كان عليه؛ ليعلم منها حال الحشر.

ثم هذه الآية أيضًا مما يستدل بها عليه؛ لأنه لو لم يكن الحشر ثابتًا فخلق الإنسان لا يخلو إما أن يكون للانتفاع، أو الإضرار، أو لا لهذا ولا لهذا، والثاني باطل لا يليق بالحكيم الكريم، الثالث: وهو الخلو عنهما باطل؛ لأنه كان حاصلًا في العدم، فتعين الأول، وذلك إما في الدنيا أو العقبى، والأول باطل؛ لأن ضررها أعظم، فتعين بالثاني، وحينئذٍ لا بد من حياة أخرى، فينتفع بصالحات الأعمال والعقائد الحقة، فيستدل بوجود السماء والأرض على الصانع، فلم يكن خلقهما باطلًا، ولا ما بينهما.

واستدل المعتزلة على أن أعمال الخلق غير مخلوقه لله تعالى، وإلا لكان قد خلق الكافر والكفر ليُكفر بالله، وهو دليل المذهب؛ فإن أعمال الخلق أيضًا مما بين السماء والأرض، وظهر من ذلك أن ظن منكري الحشر أن خلقهما وما بينهما باطل حيث اعتقدوا أن الله يترك الخلق سدى، لا يفرق بين المحسن والمسيء، والظن: المظنون، وذلك إشارة إلى خلقهما

(١) مفاتيح الغيب (٢٠٢/٢٦).

باطلًا، وهو مظنون الذين كفروا، وهو لا ينافي اعترافهم بأن الله خلق السموات والأرض لأن إنكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب يفضي إلى أن يكون غنيًّا، كأن حالهم حال الظانّ؛ لأن الجزاء مقتضى الحكمة، فحيث أنكروه بعد صرحوا بأنه لا فائدة في خلقها.

و﴿ أَمۡ ﴾ منقطعة، والمعنى: الاستفهام المتضمن للإنكار، والمعنى أنه لو بطل الجزاء كان حال الصالح والفاجر سواء، ومثل ذلك لا يليق بالحكيم(١).

وقوله: ﴿فَوَيۡلٌ ﴾ كالتفريع على هذا الظن، و ﴿ أَمۡ ﴾ في ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ﴾ منقطعة، والاستفهام للاستبعاد وإنكار أن يسوي بين الفريقين، فإنه يكون خلقًا باطلًا، وكذلك ﴿ أَمۡ ﴾ الثانية، غير أنها تفيد إنكار التسوية بين المؤمن المتقي والمؤمن العاصي، وقيل: تكرير للأول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية، مع كون الحاكم بها ذا حكمة بالغة ورحمة سابقة.

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾

وصف القرآن بأنه مما يتفكر في آياته ويُدَّبر فيها لاشتماله [٧٥٨/أ] على هذه الحكم التي ذكرها. والمبارك: النفَّاع، أي: كثير الخير.

ووجه علة الإنزال: التدبر فيه أن هذه الحكم اللطيفة والمعاني المنيفة لا تُعلم إلا بالتفكر فيما يدل عليه ظواهره، وما يستنبط منه بالنظر في مقاصده.

ويقرأ: ﴿مُبَارَكًا ﴾ بالنصب على الحال(٢).

و﴿لِيَتَدَبَّرُوا ﴾(٣) على الأصل، و﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ﴾(١). فيكون المراد النبي ﷺ وعلماء أمته.

---

(١) في الأصل، و(أ، ب، ن): (الحكم)، وما أثبته من (ح، ج، د).

(٢) عن ابن عمير. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤١١).

(٣) في (ح، ج، د): (أو ليتدبروا).

وتذكُّر أولي الألباب هو: اتِّعاظهم[٢] بما فيه، وعملهم بأحكامه حتى لا يكونوا كما قال الحسن فيمن حفظ حروفه وضيّع حدوده ويقول: والله ما أسقط حرفًا واحدًا، وقد والله أسقطه كلَّه. ولا يخفى أن ذلك بعد[٣] إدراك ما ذكرنا من قبل.

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾

لما كان سليمان كالخليفة لداود عقَّبه به، وللفظ الهبة في قوله تعالى: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ [الشورى: ٤٩]، قال ابن عباس: (مواهب الله)[٤]. والمخصوص بالمدح سليمان؛ وذلك لأن الكلام الذي بعده مسوق لمدحه، وهو الرجاع إلى الله بالتوبة، أو إلى التسبيح فيرجع له، والجمهور سوى ابن بحر [٥] على أن المعروض عليه سليمان لا داود.

والعشيُّ: بعد الظهر، والصافن من الخيل عند الأكثر الذي يقف على سُنبُكه [٦]، وهو من محمود الصفات، وقيل: الذي يجمع بين يديه هو الصافن، وأما ما يقف على طرف

=

(١) قرأ أبو جعفر، والأعشى والبرجمي عن أبي بكر عن عاصم: ﴿ لِيَدَّبَّرُوا ﴾، وقرأ الباقون: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓا ﴾. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٨٠).

(٢) في (ج، د): (إيقاظهم).

(٣) في الأصل، و(أ): (يعد)، وما أثبته من (ب، ح، ج، د، ن).

(٤) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (١٥٩/٣).

(٥) ابن بحر: محمد بن مسلم بن بحر، أبو مُسْلِم الأصفهاني المعتزلي، كان عالما بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، وله شعر، من كتبه: جامع التأويل في التفسير، والناسخ والمنسوخ، وكتاب في النحو، توفي سنة ٣٢٢هـ. انظر ترجمته في: بغية الوعاة (٥٩/١)، الأعلام (٥٠/٦).

(٦) السنبك: طرف الحافر. ينظر: المعجم الوسيط (ص٤٧٨).

سنبك يد أو رجل فهو المُتَخَيِّم، ولا يكاد يوجد إلا في العربي الخالص. وقيل: القائم بأي وصف كان.

﴿ ٱلْجِيَادُ ﴾ جمع جَوَاد، أو جَوَد، وهو الذي يجود بالركض، أو السريع جريه، وقيل: جمع جيد أو جَوْد كسوط، والمطر الجَوْد: الكثير.

روي أن سليمان غزا دمشق ونصيبين، وأصاب ألف فرس أو ورثها من داود، وقيل: كانت عشرين، وقيل: أخرجها الشياطين من البحر، أو من بعض المروج، وقيل: كانت ذوات أجنحة، فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس، وفاته صلاة العصر، أو رد له فاستردها وعقرها قربة إلى الله تعالى.

و﴿ ٱلْخَيْرِ ﴾: المال الكثير، والمراد الخيل، ومنه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨] أو تسمية الخيل به لأنها لنفس الخير بها، وقال عليه السلام: ((**الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة**))[1]، الأجر والغنيمة، وقال في زيد الخير: ((**ما وُصِف لي رجل إلا وكان دون ما بلغني إلا زيد الخيل**))، وسماه زيد الخير[2]، وكذا نقل عن مصحف ابن مسعود.

والأصل في ﴿ أَحْبَبْتُ ﴾ أن يُعدَّى بـ(على)؛ لأنه بمعنى آثرت، وتعديته بـ(عن)؛ لأنه أنيب مناب أنبت أو قعدت وتأخرت، قيل إحباب البعير: بروكه، وقيل: معناه لزمت، ومنه قولهم:

مِثْل البعيرِ السوءِ إِذْ أَحَبَّا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الجهاد ماض مع البر والفاجر (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة (١٨٧٣)، من حديث عروة البارقي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢٠٨٥) عن محمد بن إسحاق معضلًا . وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٢١/١) بإسناد تالف، حكم عليه الألباني بالوضع. السلسلة الضعيفة (٤٤٤٣).

وليس بذلك، و ﴿عَن﴾ بمعنى على. وقيل: التقدير: أحببت حب الخيل لحب الخير عن جهة ذكر ربي ما فيها من الخير، فحب الخير مفعول له.

ومعنى ﴿تَوَارَتْ﴾: غربت، أو تسترت؛ لأن الليل كان لباسًا [(١)] يرد على الأول، شَبَّه غروبها بتواري المخبَّأة، أو الملك بحجابها [(٢)]. ودلالة العشي على غروب الشمس أغنت عن ذكرها. وقيل: توارت الصافنات.

و﴿رُدُّوهَا﴾ متعلق بمقدر، أي: قال ﴿رُدُّوهَا﴾، وأضمر ما هو جواب لو كان سائلًا قال: ماذا قال؟

و﴿طَفِقَ مَسْحًا﴾: أخذ يمسح السيف بسوقها وأعناقها: يقطعها [(٣)]، يقال: مسح علاوته، أي: ضرب عنقه. والسُّوق: جمع الساق، كالدُّور جمع الدار. ويقرأ: ﴿بِالسُّؤقِ﴾ بهمز الواو لضمتها[(٤)]، كما في أدؤر، ومن قرأ: ﴿بالسؤق﴾ فقد جعل الضمة كأنها على الواو، كما في مؤسى [(٥)].

وما قيل: إنه يمسحها لإبعاد الغبار، أو يغسلها. نعم، قيل: جعلها في سبيل الله، وخاطب الملائكة برد الشمس تضرعًا إلى الله تعالى، فرد الله، فصلى العصر.

---

(١) في الأصل، و(أ، ب، ج، د، ن): (لأن الليل جالسًا).

(٢) هكذا في جميع النسخ، وفي الكشاف: "والتواري بالحجاب: مجاز في غروب الشمس عن تواري الملك، أو المخبأة بحجابهما". الكشاف (٤/٩٤).

(٣) في (ج، د): (بقطعها).

(٤) عن ابن كثير وابن محيصن. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤١١).

(٥) قال الزمخشري: "وأما من قرأ (بالسؤق) فقد جعل الضمة في السين كأنها في الواو للتلاصق، كما قيل: مؤسى". الكشاف (٤/٩٤).

واستبعد في "المفاتح" لأن ذكر الشمس لم يجر، والصافنات مذكورة، وأيضًا لو كان لكان جرمًا عظيمًا[1]، وأيضًا لو وقع لرآه أهل الدنيا؛ لأنه مما يتوفر الدواعي على نقله[2].

ولقائل أن يقول: إما كونه ذنبًا مع النسيان ممنوع، وإما توفر الدواعي، فلعله لم يكن للاشتباه، حيث يكون على قرب الغروب، ويحتمل أن يكون الحجاب بنحو غيم يلتبس بالغروب وظهرت، ويكون بردها عليه لا يناسب السياق، قيل: فعل ذلك بإذن الله، وقيل: ذَبَحها للفقراء إلا مائة منها، هي أصل خيل العرب.

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾

اختلف في فتنته على وجوه شتى، والأكثر على أنه تزوج بامرأة من غير بني إسرائيل، وهي بنت ملك ببعض الجزائر، اسمه صيدون، لا يقوى عليه أحد؛ لتحصنه بالبحر، فحمله الريح إليه فقتله. وكانت تعبد الصنم [3]، فاستأذنت أن تصور صورة أبيها لتتسلى بها، فأَذِن[4]، فمثلوا لها وكان ذلك جائزًا، ثم عبدتها أربعين يومًا، فزال ملكه حيث كان في خاتمه[5]، وجاء شيطان يقال له: صخر، فطلب من جرادة أو الأمينة [6] خاتمه، فأعطته،

(١) أي: لو بقي مشغولًا بتلك الخيل حتى غربت الشمس وفاتت صلاة العصر لكان جرمًا عظيمًا.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٦/٢٠٤-٢٠٥).

(٣) في الكشاف: "... فقتل ملكها وأصاب بنتًا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجهًا، فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها، وكانت لا يرقأ دمعها حزنًا على أبيها، فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها، فكستها مثل كسوته، وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه...". الكشاف (٤/٩٥).

(٤) أي: سليمان عليه السلام.

(٥) هذا القول لا يستقيم، قال الزمخشري: " وأما السجود للصورة فلا يظن بنبيّ الله أن يأذن فيه، وإذا كان بغير علمه فلا عليه". الكشاف (٤/٩٦).

(٦) في الكشاف: " وكانت له أمّ ولد يقال لها: أمينة، إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها". الكشاف (٤/٩٥).

فلما جاء سليمان أنكرته، فعلم الفتنة وحكم صخر في ملكه [٧٥٨/ب] سوى نسائه. وقيل: ما كان يثبت في يده [١]، فقال له آصف وزيره: لا يثبت أربعة عشر يومًا، ففر إلى الله تائبًا، وحكم هو في ملكه تلك المدة، ثم رد الله عليه ملكه [٢]، وعلى الأول قيل: سقط الخاتم من يد صخر في البحر، فابتلعه سمكة، فوقعت في يد سليمان، وأخذه من بطنها. وقيل: أنكر بنو إسرائيل حكمه، وألزموه بالتوراة، ففر [٣]. وقيل: ذنبه تربيته ولده في السحاب، حيث قصده الشياطين مخافة أن يسخروا، فألقاه الله ميتًا على كرسيه، وهو الجسد [٤]، وقيل: بل

---

(١) أي: خاتمه، قال الزمخشري: "وقيل: لما افتتن كان يسقط الخاتم في يده لا يتماسك فيها، فقال له آصف: إنك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقرّ في يدك، فتب إلى الله ﷻ". الكشاف (٩٦/٤).

(٢) قال الزمخشري: "ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا: هذا من أباطيل اليهود" . الكشاف (٩٦/٤).

(٣) أي: الشيطان.

(٤) قال ابن كثير رحمه الله: "وأرى كل هذه من الإسرائيليات، ومن أنكرها ماقاله ابن أبي حاتم... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص: ٣٤]، قال: أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه..." إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قويٌّ، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس إن صح عنه من أهل الكتاب، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في السياق منكرات من أشدها ذكر النساء؛ فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله ﷻ منه تشريفًا وتكريمًا لنبيه عليه السلام، وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله ﷻ أعلم بالصواب".

وقال النسفي: "وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود" مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٦٣/٤).

وقال أبو شهبة: "والحق: أن نسج القصة مهلهل، عليه أثر الصنعة والاختلاق، ويصادم العقل السليم، والنقل الصحيح في هذا. وإذا جاز للشيطان أن يتمثل برسول الله بسليمان عليه السلام فأي ثقة بالشرائع تبقى بعد هذا؟! وكيف يسلط الله الشيطان على نساء نبيه سليمان، وهو أكرم على الله من ذلك؟! وأي مُلْك أو نبوة يتوقف أمرهما على خاتم يدومان بدوامه، ويزولان بزواله؟!

=

الجسد ولد حيث قال النبي ﷺ: ((**إن سليمان قال: لأطوفن على نسائي، قيل: مائة، وقيل: سبعين، وقيل: ألفًا، تأتي كل بولد يجاهد في سبيل الله، فقال له الملك: قل: إن شاء الله، فلم يقل، فلم يأت إلا بشق ولد**))، قال النبي عليه السلام: ((**لو استثنى لجاهدوا في سبيل الله**))[1].

وقيل: مرض وبقي كالجسد على كرسيه، وقيل: ذنبه احتجابه عن الناس ثلاثة أيام، فأوحى الله إليه: احتجبت عن الناس، ولم تنظر في أمور عبادي، ولم تنصف مظلومًا من ظالم؟ وقيل: آصف اسم شيطان، أخذ الخاتم ورمى في البحر حين سأله سليمان: كيف تفتنون الناس؟ فقال: أعطني خاتمك، فأعطاه، وقيل: أخذه شيطان من تحت رأسه فدسه لعامله لحين سأله سليمان عن حال المرأة، فلما أعاد إليه الملك خر لله ساجدًا، وإليه الإشارة بالإنابة.

سأل المغفرة مقدمًا على سؤال الملك كما هو عادة الأنبياء والصالحين في تقديم الدين على الدنيا.

ومعنى ﴿لَّا يَنۢبَغِي﴾: لا يكون، وأصله الانفعال، من بغيت الشيء إذا طلبته، أي: لا يصير مطلوبًا؛ لأنه سماوي لا نطيقه البتة، وطلبه ليكون معجزة لا حسدًا. وما قيل: لا ينبغي لأحد أن يسلبه بعد هذه السَّلبة، فإنما تصح [2] أن لو قدر مثل بعد هذه التوبة، وقيل: تقديم الاستغفار لأنه أهم، أو ليكون كالوسيلة للطلب. ولا يشكل بأنه كالحسد [3]؛

=

وماعهدنا في التاريخ البشري شيئًا من ذلك. وإذا كان خاتم سليمان عليه السلام بهذه المثابة: فكيف يُغفِل الله شأنه في كتابه الشاهد على الكتب السماوية، ولم يذكره بكلمة؟! وهل غيَّر الله سبحانه خِلقة سليمان في لحظة، حتى أنكرته أعرف الناس به، وهي: زوجته جرادة؟!". الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص٢٧٣).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب من طلب الولد للجهاد (٢٦٦٤)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب الاستثناء (١٦٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ج): (يصح).

(٣) قال الزمخشري: "فإن قلت: أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطي الله ما لا =

لأنه قاص بيت الملك فسأل معجزة علمه تحسب إليه [1]، أو خاف أنه لو أعطي مثل غيره لم يحافظ على حدود الله.

فإن قيل: ﴿ٱلْوَهَّابُ﴾مبالغة في الكمية أو الكيفية أو فيهما؟

قلنا: كلها محتملة، والأولى الحمل على الأعم؛ لأنه أفيد؛ ولهذا فسر بأنك تعطي ما تشاء لمن تشاء.

وقيل: فائدة هذا الطلب أنه إذا أعطي أعظم ممالك البشر، ويظهر للعقل أنه لا فائدة فيها بالنسبة إلى السعادات الأخروية، أعرض عنها، أو القصد أن يعرض عنها مع القدرة عليها.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾

أي: ذللناها لسليمان.

﴿رُخَآءً﴾ أي: لينة.

ويقرأ: ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾[1]، ولا ينافيها كونها عاصفة لجواز إرادة كونها عاصفة في نفسها، وهي لما جرت بأمره كانت لينة رخاء، ويحتمل أن يكون باعتبار وقتين.

= يعطيه غيره؟". الكشاف (٤/٩٦).

(١) هكذا العبارة في جميع النسخ، ولم تتبين لي ، فلعل فيها تحريفاًأو سقطًا ، وفي الكشاف: "قلت: كان سليمان عليه السلام ناشئًا في بيت الملك والنبوّة ووارثًا لهما، فأراد أن يطلب من ربه معجزة، فطلب على حسب ألفه ملكًا زائدًا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حدّ الإعجاز، ليكون ذلك دليلًا على نبوّته قاهرًا للمبعوث إليهم، وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات ". الكشاف (٤/٩٦).

و ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ قصد، قال الأصمعي لرجلين قصداه لهذه الكلمة: أين تصيبان؟ فقالا: هذه طلبتنا، فرجعا.

و﴿بَنَّآءٍ﴾ الشياطين كانوا يبنون ما يشاء من الأبنية العجيبة، ويستخرجون اللؤلؤ.

أي: سخرنا له الشياطين، فهو عطف على ﴿ٱلرِّيحَ﴾. و﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ بدل من الشياطين، ومردة الشياطين موثقين في الحديد، إلى أن يؤمنوا، فيخلي سبيلهم؛ ليكفوا عن الشر.

و﴿ٱلْأَصْفَادِ﴾: سلاسل الحديد، وقيل: الأغلال، والغل إن كان بالظاهر فيكون لهم أجسام يمكن قيدها، ولكونها شفافة لا ترى، وإن كان تمثيلًا وهو الأقرب عند صاحب "الأنوار"[٢] فالمراد كفهم عن الشر، ويسمى العطاء بالصَّفَد؛ لأنه يرتبط بالمنعم عليه ويقرب منه قول علي ﷺ: (من بَرَّك فقد أَسَرَك، ومن جفاك فقد أطلقك). ومنه: غلّ يدًا مُطْلِقُها وارَقَّ رقبةً مُعتِقُها، ومنه:

ومن وجد الإحسان قَيْدًا تَقيَّدا[٣]

والفرق بين الصَّفَد -بمعنى القيد- والعطاء: أن الأول يقال فيه: صَفَده، والثاني: أَصفَده، عكس وَعَد وأَوعَد. قال في "الأنوار" وفيه نكتة[٤].

فلعل المراد بها اختصاص سليمان عليه السلام بهذا العطاء نظرًا إلى القيد، وهذا إشارة إلى الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط غيره، فأعطِ من شئت، وامنع من شئت، لا تُحاسب على الإعطاء والمنع يوم الحساب، أو امنن على الشياطين بالإطلاق، أو أمسكه في الوثاق.

---

(١) عن أبي جعفر وقتادة. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤١٢).

(٢) أنوار التنزيل (ص٦٠٣).

(٣) عجز بيت للمتنبي، وصدره: وَقيَّدتُ نفسي في ذراكَ محبةً. ينظر: ديوان المتنبي (١٥/٢).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص٦٠٣).

و﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حال من المستكن في الأمر، أي: افعل الأمرين غير محاسب عليهما؛ لتفويض الأمر إليك فيهما. ويجوز أن يكون حالًا من العطاء أو صلة، وما بينهما اعتراض، والمعنى: إنه عطاء عظيم يكاد لا يمكن حصره [(١)]، ومن خص الإشارة إلى تسخير الجن فالمعنى: أطلق من شئت منهم علة[(٢)]، واحبس من شئت.

ويقرأ: ﴿فامنن وأمسك عطاؤنا بغير حساب﴾[(٣)].

وقيل: إشارة إلى الالتذاذ بالوقاع حيث قوي على ألف امرأة ثلاثمائة زوجة وسبعمائة سرية.

وزلفاه عند الله: القربة في الآخرة وحسن المرجع الذي هو نعيم الجنة، وله اختصاص بعدم الحساب على العطاء. روى الحسن ذلك وبغيره[(٤)].

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [٧٥٩/أ]

فيه تسلية النبي ﷺ؛ فإنه ما كان أعظم بلاء منه، وهو عطف بيان، و ﴿إِذْ﴾ بدل اشتمال منه. وإنما لم يقل بأنه مسه؛ لأنه لكلامه الذي نادى به، وتقدير ﴿أَنِّي﴾ بـ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ﴾.

---

(١) في الأصل: (لا يمكن يكاد حصره)، وفي (ن): (لا يكاد يمكن حصره)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) كذا في جميع النسخ، ولعله تحريف، صوابها: (مِنَّةً).

(٣) ذكر الزمخشري قراءة لابن مسعود لهذا الحرف، ولفظها: ﴿هذا فامنُن أو أمسِك عطاؤُنا بغير حساب﴾. ينظر: الزمخشري (٤/٩٨).

(٤) عن الحسن: "إن الله لم يُعطِ أحدًا عطيةً إلا جعل عليه فيها حسابًا، إلا سليمان فإنه أعطاه عطاء هنيئًا فقال: ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩]، فإن أَعطَى أُجِر، وإن لم يُعطِ لم يكن عليه تبعة". ينظر: معالم التنزيل (٧/٩٥-٩٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٢/٥٩٥) لعبد بن حميد.

والنصب: التعب، والعذاب: الألم. وقرأ يعقوب: بفتح النون على المصدر، ويقرأ: بفتحتين، كالرّشْد والرَّشَد، وبضمتين، وضمة [1] وسكون[2]؛ للتثقيل.

والإسناد إلى الشيطان، إما لأن الله تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته، قيل: إعجابه بكثرة ماله، أو استغاثة مظلوم فلم يغثه، أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فلم يغزه، أو أن[3] سأل ذلك ليمتحن صبره، فيكون اعترافًا بالذنب، أو مراعاة للأدب حيث لم يسند العذاب إلى الله تعالى، أو لوسوسة الشيطان إلى أهله ليرفضوه ويخرجوه من دياره، لكنه بقي في العذاب ثماني عشرة سنة.

روي مرفوعًا: ((**قيل: ما بقي معه إلا رجلان، فقال للآخر: إنَّ أيوب أذنب ذنبًا لم يُذنِب أحدٌ من العالمين، وإلا لما وقع في هذا، فقال أيوب: لا أدري، كنت أَمُرُّ على رجلين يذكران الله فأكفر عنهما كراهة أن يذكر الله إلا في حق**))[4].

أو لوسوسة في المرض من عظم البلاء والقنوط والإغراء على الجزع، والكلام المستوفى سبق في قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

و﴿ارْكُضْ﴾ حكاية ما أجابه الله به، أي: اضرب برجلك الأرض.

---

(١) في جميع النسخ عدا (ح): (وضمتين)، وهو تحريف، والصواب ما أثبته من (ح).

(٢) قرأ أبو جعفر: (بنُصُب) بضمتين، وقرأ يعقوب: (بنَصَبٍ) بفتحتين، وقرأ الباقون: (بنُصْب) بضمة فسكون. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص ٣٨٠). وأما (نَصْب) بفتح فسكون فقد ذكرها الزمخشري من غير نسبة. ينظر: الكشاف (٩٨/٤).

(٣) في (ح): (أنه).

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٦١٧) وابن جرير في تفسيره (١٠٩/٢٠)، من حديث أنس ﷺ، وصححه ابن حبان (٢٨٩٨)، والحاكم (٤١١٥)، وأقره الذهبي، وقال أبو نعيم في الحلية (٣٧٥/٣): "رواته متفق على عدالتهم".

و﴿ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ ﴾ فيه اختصار؛ إذ التقدير: فضربها فنبعت في الأرض عين فقيل: ﴿ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ ﴾أي: ما يغتسل ويشرب منه فيزول النصب الذي في باطنك وظاهرك، وقيل: كانت عينين: حارة وباردة، اغتسل بالأولى، وشرب الثانية.

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾

قد سبق أنه أحياهم ومثلهم من نسلهم، أو أنه وهبه غيرهم. وقيل: يؤتيه في الآخرة، ومثلهم في الدنيا، أو تفرقوا ورجعوا إليه.

و﴿ رَحْمَةً ﴾ إما علة، أو مصدر، أي: رحمناه رحمة. وهو تذكير لأولي العقول إذا أصابهم بلاء انتظَرُوا الفرج من الله، وتذكروا أمره.

﴿ وَذِكْرَىٰ ﴾ أيضا علة، أي: الهبة كانت لهما للرحمة، وليتذكر أولوا الألباب، فيصبروا كما صبر عند السلامة.

﴿ وَخُذْ ﴾ عطف على ﴿ ٱرْكُضْ ﴾.

روي أن زوجته ليّا بنت يعقوب ذهبت لحاجة، فأبطات، أو وسوس إليها الشيطان ليأمر أيوب فيذبح عناقًا باسمه، أو همت بأن تسجد للشيطان لما أمرها به ليرد عليهما ما ذهب، فأدركتها العصمة، فقال: ولا كف تراب [1]، أو أنه إن يداويه فيقول: أنتَ شفيتني[2]، فحلف ليضربنَّها مائة ضربة، فأمر بأن لا يحنث في يمينه.

---

(١) قال الكرماني: "وقيل: إن الشيطان أمرها أن تحمل أيوب على أن يذبح عَنَاقًا باسم الشيطان، فأدت إليه رسالة إبليس، فقال: ولا كفًا من تراب، فحلف ليجلدنَّها مائة". رسالة اللباب للكرماني ٩٨/١ [تحقيق: إبراهيم الحكمي].

(٢) قال الكرماني: "وقيل: إن إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة أيوب، فقال: أداويه على أنه إذا برئ قال: أنتَ شفيتني، لا أريد جزاءً سواه". رسالة اللباب للكرماني ٩٨/١ [تحقيق: إبراهيم الحكمي].

والضغث: الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه، وما قيل: إن هذه رخصة باقية في شرعنا، فلقائل أن يقول: ليس على إطلاقه، بل بشرط أن يكون المحدود مريضًا يخاف عليه، ويكون عثكالًا عليه مائة شمراخ، بحيث ينال ألم الجميع. وقيل: يجوز مطلقًا، وقيل: منسوخ.

فإن قيل: هذا لم يكن حدًا ليلزم الوفاء به، فهلاَّ أمر بالتكفير لقوله عليه السلام: ((**من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها، فليكفر عن يمينه وليأت بالذي هو خير**))[1].

قلنا: لعله لم يجز في شرعهم ذلك، أو أن الأفضل الوفاء به.

والوصف بأنه سبحانه وجده صابرًا على البلاء مدح عظيم، يستحق أن يقال له: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أيوب؛ إنه مقبل على الطاعة، رجَّاع إلى الله، ولا يشكل بأنه شكا إلى الله من الشيطان، ولا يسمى جزعًا، فإنه لم يكن للأهل والمال، بل تمنى العافية والشفاء، وأيضًا خاف فتنة الدين، فإنه روي: رجع بعض من آمن به عن دينه.

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾

قرئ: ﴿عَبْدَنَا﴾[2]، فيكون إبراهيم عطف بيان، وفيه بيان كرامته على الله، وإسحاق ويعقوب معطوفان عليه، وعلى الجمع إبدال منه.

وأولو الأيدي قيل: القوة في العبادة، والتبصر في أمر الدين، والصبر البلاء: إبراهيم بالنار، وإسحاق بالذبح، ويعقوب بيوسف، والتعبير عنها بالأيدي لأن معظم البطش بها، والتعبير عن المعارف بالأبصار؛ لأنها من مقدماتها، والذين لا يتفكرون فكر ذوي الديانات في حكم من الاستبصار بهم، وقيل: الأيدي ما أنعم الله عليهم، وقيل: العلوم الشريفة والأعمال الجليلة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأيمان، باب نذر من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه (١٦٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) قرأ بذلك ابن كثير وحده. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٨٠).

وفيه تعريض بالجُهَّال والبطلة أنهم كالعميان والزَّمْنَى.

و﴿أَخْلَصْنَٰهُم﴾: جعلناهم خُلَّصًا لنا من غير شائبة فيهم؛ وذلك بسبب ذكرهم للآخرة دائمًا، ولاهَمَّ لهم غيرها؛ لأن خلوصهم في الطاعة مُسبَّب عنها؛ لأن نهاية مقاصدهم في أعمالهم جوار الله والفوز بلقائه، وذلك في الآخرة.

وقرئ بإضافة الخالصة إلى ﴿ذِكْرَى﴾[1]، إما لأنها بمعنى فهو إضافة المصدر إلى فاعله، أو أضيف للبيان. وإطلاق الدار من غير تقييد بالآخرة للإشارة إلى أنها الدار الحقيقية، والدنيا محل العبور. وقيل المعنى: جعلناهم يذكِّرون الناسَ بالدار، أو يكثرون ذكرها للرجوع إلى الله، [٧٥٩/ب] أو العمل لها، أو النبوة، أو الكتب التي تشتمل على ذكرها والتفسير بنعمة خالصة هي الجنة فيها ذكر رفيع لقيامهم بأمر النبوة أنسب. وما قيل: إن الدار: الدنيا، والذكرى: الثناء الحسن، يحتمل أن يكون كالإجابة لقول إبراهيم: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] فإنَّه الصيت الحسن، و﴿ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾: المجتبَين.

و﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ جمع خيِّر، كأميات وميت[2]، تخفيفًا وتثقيلًا.

﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾

لعل عدم ذكر إسماعيل مع إسحاق ليكون أكثر تعظيمًا.

---

(١) أي: ﴿بِخَالِصَةٍ ذِكْرَىٰ﴾، وهي قراءة نافع وأبي جعفر. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٨١).

(٢) في (ج): (كأميات جمع ميت).

﴿وَٱلۡيَسَعَ﴾: خليفة إلياس، ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِ﴾: الأولى أن يكون نبيًا لذكره في سلك الأنبياء، وقيل: هو يوشع، والكفل: النصيب، أو الجَدُّ، أو الحظ. قيل: تكفَّل بمائة نبي انفلتوا من القتل، وقد سبق ذكره[1].

والتنوين في ﴿كُلٌّ﴾ بدل من (هم)، واللام في ﴿ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ لعلها للعهد.

والذكر هنا شرف للمذكور أشير به إلى جميع ما تقدم من ذكر الأنبياء، أو القرآن، فإنه ذكر للنبي ﷺ ولقومه. ولما أتم من أبواب القرآن، وهو: ذكر الأنبياء، وأراد ذكر نوع آخر وهو محال[2] لأهل الجنة؛ فإن هذا ذكر كما سيأتي مثله.

وفي وعد المتقين بحسن المرجع، ثم مفسرًا بجعل الحساب عطف بيان له تعظيمًا لما لهم، أو بدل منه.

والعدن: الإقامة. و ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ إشارة إلى عدم مقاساة وفتح وتوقف [3]، وقيل: مثل يقول[4]: متى جئتني وجدت بابي مفتوحًا.

فإن قيل: ما فائدة العدول عن الفتح إلى التفتيح؟

قلنا: المبالغة ليست لكثرة الأبواب، بل لعظمها كما ورد من المبالغة في سعتها وكثرة الداخلين، ويحتمل أن يكون للإشارة إلى أن أسباب فتحها عظيمة شديدة؛ لأن الجنة قد حفّت بالمكاره على وجه لما رآها جبريل مع عظمة نعيمها قال: خفت يا رب أن لا يدخلها أحد.

---

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥﴾ [الأنبياء: ٨٥].

(٢) كذا في الأصل، و(أ، ب، ح، ج، د)، وفي (ن): (بحال).

(٣) قال الكرماني: "قيل: لا يحتاجون إلى مفاتيح وفتح بمعاناة". رسالة اللباب للكرماني ١٠٣/١ [تحقيق: إبراهيم الحكمي].

(٤) كذا في جميع النسخ.

وهي بدل من الضمير في ﴿مُفَتَّحَةً﴾. وقيل: التقدير: أبوابها، قام اللام مقام الضمير. الاتكاء: جلوس المتنعم، و ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال من أهل الجنة قد أضمر ذكرهم في ﴿لَهُمُ﴾ لا من المتقين للفصل.

و﴿يَدْعُونَ﴾ إما حال بعد حال، أو حال متداخلة في متكئين، وذو الحال ضمير (هم). قال في "الأنوار"[1]: والأظهر أن يكون استئنافًا، ولعل نظرة إلى أنه أشمل فائدة وأعم كعبد الفقير التقيد[2] كان لفظًا وإن كان السياق يفيد ذلك.

والفاكهة قد سبق أنها للذة لا للغذاء، وقيل: الكثير في الشراب مراد حُذف لدلالة الأول، ولعل ذلك لكونه لذيذًا، وإلا فلا حاجة إلى الكثرة فيه.

﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾﴾

تكرير وصف الأزواج بكونهن مقصورات النظر إلى أزواجهن لعله للدلالة على أحسن أحوال النساء: التعفف.

﴿أَتْرَابٌ﴾: لدات، فاشتقت من اللعب بالتراب، أو على سن الأزواج، أو أقران. والمناسبة تقتضي الميل[3]، أو بين العجوز والصبية، والتقييد بيوم الحساب لأن الوصول إلى الجزاء بالحساب. وقيل: ما يعطون في يوم الحساب. وهذا رزق لا انقطاع له. و ﴿هَٰذَا﴾ قيل: خبر محذوف، أي: الأمر هذا، أو بالعكس، مثل: هذا لأهل الجنة شرف وذكر جميل لهم. وقيل: هو كما إذا فرغ الكاتب من فصل وأراد الشروع في آخر، قال: هذا وقد كان كيت وكيت.

---

(١) أنوار التنزيل (ص٦٠٤).

(٢) كذا في الأصل و(أ)، وفي (ج): (كعبد العصر القيد). ولم يتبين لي المراد.

(٣) كذا في جميع النسخ، ولعل الصواب: (المثل)، ففي اللباب: "وقيل: أمثال". رسالة اللباب للكرماني ١٠٤/١ [تحقيق: إبراهيم الحكمي].

والمآب: المرجع.

﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ ﴾

﴿ جَهَنَّمَ ﴾ بدل من ﴿ مَآبٍ ﴾.

والأكثر على أن المراد بالطغيان الكفر بدليل قولهم: ﴿ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ [ص: ٦٣].

ومعنى ﴿ يَصْلَوْنَهَا ﴾: يدخلون النار، ويجدون حرها.

الحميم: الماء الذي يبلغ في الحرارة بحيث يحرق، والغسَّاق مثله في البرد. وقيل: الليل غاسق لأنه أبرد من النهار. وقيل: يغسق من صديد أهل النار وهو المنتن الذي قطرة منه من الشرق ينتن أهل الغرب. يقال: غسقت العين إذا سال دمعها، أو القيح الذي يسيل منهم، أو الزمهرير، أو وادٍ في جهنم يسيل إليه صديدهم، أوسم كل ذي سم، وقيل: بمعنى الظلمة والسواد، وهو ضد ما يراد في الشراب من الصفاء. وبالتخفيف أقرب من التشديد، مبتدأ، وحميم خبره.

و﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ اعتراض، أو هو الخبر، و ﴿ حَمِيمٌ ﴾ خبر محذوف، أي: هو حميم، أو التقدير: فبئس المهاد هذا، فهو متصل بالأول، وشبَّه ما تحتهم من النار المهاد الذي يفترشه النائم.

﴿ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ ﴾

أي: من شكل العذاب. ويقرأ بكسر الشين [1]، أي: من مثل العذاب المذكور، أو من عذاب الدنيا، هذا كلام رؤساء النار بدليل:

(١) عن مجاهد. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤١٢).

﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ فإنه كلام الأتباع عليه لضمير الطغيان المدلول عليه بالطاغين، ولا ينافي ما قيل: إنه للعذاب [٧٦٠/أ]؛ لأنه سببه، فيدخل فيه المطعمون يوم بدر، كما قيل: أو الخَزَنَة، أو الله.

والفوج: الجمع الكثيف، قيل: إبليس وأتباعه، أي: اقتحموا معكم النار، أي: دخلوا في صحبتكم كما اقتحموا في الضلال. والاقتحام ركوب الشدة، وفسرت القحمة بها، وهو حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض، وقيل: كله كلام الخزنة.

ومعنى ﴿بَلْ أَنتُمْ﴾ هذا الذي بما أفلسا الخزنة أنتم أولى وانها الدور [(١)] وأصل مرحبًا في الدعاء، أي: سعة من البلاد لا ضيقًا، فدخول (لا) الدعاء السوء على أَتبَاعِهم، قيل: يحتمل أن يكون ذلك لأن عذابهم يضاعف بسببهم، وقال الأتباع للرؤساء: هذا الدعاء الأولى أن يكون عليكم؛ لأن تقديم العذاب أو الصلي منكم بتقديم العمل الذي اقتضاه، فبئس المستقر والمسكن، والمخصوص بالذم جهنم ضمير ﴿قَدَّمْتُمُوهُ﴾ للعذاب وأهلهم[(٢)].

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

قالت الأتباع أو الجميع ذلك، والضعف: المِثْل المضموم إليه مِثْله، والتنصيف: ضد التضعيف، أي: زده عذابًا مضاعفًا، أي: ذا ضعف. قيل: هي الحيات والأفاعي.

وقول ﴿مَا لَنَا﴾ للكفار، مثل أبي جهل وأضرابه، وأرادوا بالأشرار فقراء المسلمين، كصهيب وبلال يعنون الأراذل، سموهم أشرارًا لمخالفتهم في دينهم.

---

(١) كذا العبارة في جميع النسخ، ولم تتبين لي.

(٢) في (ن): (وأهليهم).

قرئ بفتح الهمزة على الاستفهام، وبوصل الألف في ﴿ اتَّخَذْنَاهُمْ ﴾[1]، فيكون على الخبر صفة لقوله: ﴿ رِجَالًا ﴾. والاستفهام مع تحقق أنهم اتخذوهم للتوبيخ والتعجيب، والجملة المعادلة للهمزة محذوفة، مثل: أمفقودون أم زاغت عنهم أبصارنا؟! هذا إذا جعلناها متصلة بقوله: ﴿ مَا لَنَا ﴾قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة أو أهل النار ولا يروهم، وإن جعلت متصلة بـ ﴿ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا ﴾وهي متصلة فالمعنى: وفعلنا بهم الاستسخار أم أن أبصارنا كانت تعلو عليهم على معنى إنكارهما.

وإن كانت منقطعة فيعد معنى ﴿ أَتَّخَذْنَاهُمْ ﴾ على الخبر، أو الاستفهام نحو: إنها لإبل أم شاء؟ وقرئ: ﴿ سخريًا ﴾ بكسر السين والضم [2]، والمعنى واحد، وقيل: بالكسر الهزء، وبالضم التذلل.

و ﴿ زَاغَتْ ﴾: مالت، أي: هم في النار فلا نراهم، أم ليسوا معنا، أو زاغت عنهم الأبصار تحقيرًا لهم.

فإن: قيل كيف ترددوا في كونهم في النار مع علمهم بأنهم كانوا مناقضين لهم في الدِّين، وهم من أهل النار، فالمخالفون يكونون من أهل الجنة؟

قلنا: لعلهم لشدة البأس لم يتفطنوا لذلك، أو قالوه على وجه التثريب لأنفسهم، وذلك إشارة إلى ما حكي عنهم أنه واقع لا محالة، لا بد وأن يتكلموا به تخاصمًا؛ لاشتماله على دعاء بعضهم على بعض، وهو بدل أو خبر محذوف نحو هو أو خبر بعد الخبر. ويقرأ بالنصب[3] بدلًا عن ﴿ ذَلِكَ ﴾.

---

(١) قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وعاصم بقطع الهمزة على الاستفهام، وقرأ الباقون بوصل الألف. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٨١).

(٢) الضم هو قراءة أبي جعفر ونافع وحمزة والكسائي وخلف، والكسر هو قراءة ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبي عمرو ويعقوب. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٨١).

(٣) أي: (تخاصُمَ). عن زيد بن علي وابن أبي عبلة. ينظر: شواذ القراءات للكرماني (ص٤١٢).

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

لما فرغ من بيان الثواب والعقاب، وكان آخر الكلام بيان العذاب، أمر النبي عليه السلام بأن يعلمهم أنه ينذرهم من عقاب الله بترك التوحيد الذي هو أصل المقاصد، وذكر ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ إشارة إلى بيان التوحيد؛ لأنه لو كان لله شريك فإمَّا أن يكون جمادًا عاجزًا، أو قادرًا، والأول باطل، وكذا الثاني؛ لأنه لو أراد أحدهما شيئًا وأراد شريكه خلافه لم يكن حصول أحد المرادين أولى من الآخر، فيفضي إلى اندفاع كل منهما بالآخر، وحينئذٍ لا يكون قادرًا قاهرًا، بل عاجزًا ضعيفًا. وأيضًا وصف القهار به يناسب الإنذار.

ثم عقب ذلك ببيان كونه ربًّا للإشارة إلى التربية والإحسان، غفارًا للإ شعار بالترغيب بعد الترهيب؛ ليُخشى عقابه، ويُرجى ثوابه.

النبأ هو: ما أخبر النبي عليه السلام عن الله، والمراد الإخبار بكونه رسولًا منذرًا.

وتوحيد الله تعالى لا يهمل أمره عاقل فيندرج تحته القول بالحشر والقيامة كما قيل، أو القرآن، وفي اسم ﴿عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ على الوجوه منع عن التقليد، وترغيب في النظر والاستدلال؛ لأنه مظنة نيل أعظم أنواع السعادة والخلاص عن أصناف الشقاوة.

وقوله: ﴿مَا كَانَ﴾ معناه: أنه لو لم أكن نبيًّا كيف كنت أعلم اختصام الملائكة ولا يُعلم إلا بالوحي وهو تقاولهم؟! وأقوى ما قيل فيه قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقيل: يجوز أن يفسر بما يعم قول الله تعالى، ولا يلزم أن يقال: إن الله من الملأ الأعلى؛ لأنه لما كان التقاول للملائكة، وكأنه المقاولة، وقيل: مخاصمتهم لإبليس ومخالفتهم له، وقيل: مناظرتهم في استنباط العلم؛ لأن بعضهم أعلم من بعض.

و﴿ إِن ﴾ نافية، أي: ما يوحى إليَّ إلا لأني نبي مبلّغ من عند الله [٧٦٠/ب]، فاللامُ عِلَّةُ فتحِ (أنَّ)، ويقرأ بالكسر على الحكاية [١]، والحاصل أنه لما جوَّز أن يأتيه الوحي بيَّن ما هو المقصود منه، وهو الإنذار؛ إذ المعنى ما يوحى إلي إلا للإنذار، فحذف، فانتصب بنزغ الخافض. ويجوز الرفع بمعنى: ما يوحى إلي إلا أن أنذر، ولعل تخصيص النذير مع أنه بشير أيضًا لأن المقام مقتضٍ لذلك؛ ولذلك صدر الكلام أيضًا، و(إن) متعلق بعِلْم، أو محذوف لا ﴿ يَخْتَصِمُونَ ﴾؛ لأنه مضارع.

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

العامل في ﴿ إِذْ ﴾ من عِلْم؛ لأنه بدل من ﴿ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ أي: ما كان لي من علم وقت الاختصام، ووقت [٢] قول الرب للملائكة. الطين: التراب المبلول. وذكر البشر لهم لتقدم معرفتهم به بوصف الله تعالى لهم، ولا ينافى خلقه من التراب؛ فإنه متقدم عليه، كما أنه متقدم على الحمأ المسنون، وهو على الصلصال، ولا يشكل بأن الملائكة لم يعترضوا هنا لأنهم لما سمعوا بالجامع للقوة البهيمية والسبعية والشيطانية اعترضوا، ثم قال لهم: إنه من الطين، وإضافة الروح باعتبار أنه مخلوق الله ومملوكه، والإشارة إلى شرفه كبيت الله، والكلام في أنه عبارة عمَّاذا[٣]؟! قد سبق في: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾[٤] [الإسراء: ٨٥].

---

(١) قرأ أبو جعفر: (إلا إنَّما) بالكسر، وقرأ الباقون: (إلا أنَّما) بالفتح. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٨١).

(٢) في (أ، ب، ح، ج، د): (وقت) بواو واحدة.

(٣) في (ن): (عن ماذا).

(٤) المتقرر في اعتقاد أهل السنة والجماعة: أن الروح مخلوقة لله تعالى، قال ابن أبي العز: "وقد أجمعت الرسل على أنها مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم أن العالم محدث، ومضى على هذا الصحابة والتابعون حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم أنها قديمة، واحتج بأنها من أمر الله وأمره غير مخلوق! وبأن الله أضافها إليه بقوله: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ =

وذكر هنا أنه جسم هوائي رقيق في كل جزء منه حياة، وقيل: ما يمتاز به الحي عن الميت.

والكلام في السجود سبق(١)، قيل: كان إنحناء يدل على التواضع، أو سجدوا لله وآدم كالقبلة، أو صلى بهم(٢).

= [الإسراء: ٨٥]، وبقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص: ٧٢]، كما أضاف إليه علمه وقدرته وسمعه وبصره ويده، وتوقف آخرون، واتفق أهل السنة والجماعة أنها مخلوقة، وممن نقل الإجماع عن ذلك: محمد بن نصر المروزي وابن قتيبة وغيرهما، ومن الأدلة على أن الروح مخلوقة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، فهذا عام لا تخصيص فيه بوجهٍ ما، ولا يدخل في ذلك صفات الله تعالى فإنها داخلة في مسمى اسمه، فالله تعالى هو الإله الموصوف بصفات الكمال فعلمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وجميع صفاته داخل في مسمى اسمه، فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وماسواه مخلوق، ومعلوم قطعًا أن الروح ليس هي الله ولا صفة من صفاته، وإنما هي من مصنوعاته، ومنها قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: ١]، وقوله تعالى لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۝٩﴾ [مريم: ٩]... وأما استدلالهم بإضافتها إليه بقوله: ﴿مِن رُّوحِي﴾ [ص: ٧٢]، فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله نوعان: صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له وكذا وجهه ويده سبحانه، والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح فهذه إضافة مخلوقة إلى خالقه، لكن إضافة تقتضي تخصيصًا وتشريفًا يتميز بها المضاف عن غيره".

(١) وذلك عند تفسير الآية (٣٤) من سورة البقرة.

(٢) والصحيح أنه سجود حقيقي لكن ليس سجود عبادة، وهو مذهب الجمهور، قال القرطبي: "واختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفاقهم على أنه لم يكن سجود عبادة؛ فقال الجمهور: كان هذا أمرًا للملائكة بوضع الجباه على الأرض، كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر من السجود في العُرف والشرع، وعلى هذا قيل: كان ذلك السجود تكريمًا لآدم وإظهارًا لفضله، وطاعة لله تعالى" . الجامع لأحكام القرآن (٣٣٢/١)، وانظر: الإجماع في التفسير (ص١٦٢).

ذهبت الحلولية إلى أن ﴿مِن﴾[1] للتبعيض، فيكون الروح جزءًا من الله، وفساده في غاية الظهور، فإن كل ما له جزء فهو ممكن ومحدث، وكيفية نفخ الروح على ما قال في "المفاتح": "أن جوهر النفس عبارة عن أجسام شفافة نورانية، علوية العنصر، قدسية الجوهر، وهي تسري في هذا البدن سريان الضوء في الهواء، أو سريان النار في الفحم، فهذا القدر معلوم، وكيفية النفخ مما لا يعلمه إلا الله"[2].

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾

والكلام في الاستثناء أنه متصل أو منقطع قد تقدم [3]، وعلى الثاني أن المسوغ أنه لما أُمر معهم غَلبوا عليه، فيصير متصلًا، وإن لم يكن منهم في الحقيقة. ومعنى ﴿كَانَ﴾ على أصلها، أو صار، وغيرهما قد سبق في البقرة.

وإسناد اليد إلى الله سبحانه بعد قيام البرهان على تنزيهه عن الأعضاء على أن المراد بها القدرة، تقول العرب: ما لي بهذا الأمر يد، أي: قوة، ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، والتثنية كالجمع في قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]. ويقرأ: ﴿بِيَدِي﴾ على التوحيد[4]، وعلى التثنية لما كان أكثر الأعمال بهما غلب العمل بهما على العمل

(١) في قوله تعالى: ﴿مِن رُّوحِى﴾ [ص: ٧٢].

(٢) مفاتيح الغيب (٢٢٨/٢٦). وقال ابن جماعة: "وأما النفخ فالمراد به والله أعلم خلقها وإيجادها، وقال بعضهم: كيفية النفخ لا يعلمها إلا الله تعالى". إيضاح الدليل (١٤٢/١).

(٣) عند تفسير الآية (٣٤) من سورة البقرة.

(٤) عن الجحدري. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٣١)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤١٢).

بغيرهما حتى في عمل القلب هو مما عملت يداك، ومن منع ذلك قال: إبليس أيضًا كذلك، وسائر الأشياء[1].

ولقائل أن يقول: قد ورد في القرآن أن لله ما في السموات والأرض، وهو لا ينافى إضافة البيت إليه للتشريف، فَلِم لا يجوز أن يكون القدرة المسندة إلى نفسه المشعرة بأن الله تولى خلقه بغير واسطة، ومن غير سبب يؤدي إليه مميزه عن إبليس في كونه مخلوقًا بالقدرة، وقيل النعمة، وأورد علة أنه لا يكون مخلوقًا لله، بل مخلوق نفس المخلوقات، ولا يكون سبب الشرف.

قال في "المفاتح" بعد ذكر الاحتمالات: "والذي تلخص عندي أن السلطان العظيم لا يباشر شيئًا بيده إلا إذا كانت غاية عنايته مصروفة إليه، وإذا كانت العناية الشديدة من لوازم اليد أمكن جعله مجازًا عنها عند قيام الدلائل القاهرة"[2].

ومعنى ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أي: الآن، وهو استفهام إنكار. وقرئ بحذف حرف الاستفهام[3]، لدلالة ﴿أَمْ﴾ عليه، أم كنت من المستكبرين العالين، نحو: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤].

ومعنى قول إبليس: لو كنت مساويًا له في الشرف لما ناسب الأمر بالسجود، فكيف وأنا خير منه؟! وبيَّن أن أصله أشرف؛ لأن النار أقرب إلى الأشرف الذي هو الفلك، وهي خليفة الشمس والقمر في الإضاءة، والحرارة تناسب الحياة، وهي ألطف من الأرض، وهي مشرقة، وهي شبيه الروح، وأشرف الأعضاء القلب والروح، وهما على طبيعة النار، وكل جسم أشبه بالنار كالذهب والياقوت أشرف، والشمس أشرف الأجسام، وهي تشبه النار في الطبع والصورة، وأيضًا لم يتم المزاج إلا بالحرارة، ثم هذه المقدمة على فرض تسليمها لا

(١) أي: خلقت بقدرة الله، فلا خصيصة لآدم بذلك.

(٢) مفاتيح الغيب (٢٦/٢٣١-٢٣٢).

(٣) رواية عن ابن كثير. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٣١)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤١٢).

تنتج إلا بأخرى، وهي أن كل من كان أصله خيرًا فهو خير، وهي ممنوعة، وذكر في "المفاتح": أن أصل الرماد: النار، وأصل البساتين الطيِّبة والأشجار المثمرة: التراب[1].

ولقائل أن يقول: هذا عجب منه جدًا فإن المعلوم أن أصل الرماد الجسم المحترق بالنار، وأصل الأشجار الحبوب التي تنبت منها، وكل منهما له أثر في تلك المادة. نعم، يمكن أن يقال: لِمَ لا يجوز أن يكون أصل أحد الشيئين أفضل؟ وينضم إليه ما يقتضي مرجوحيته كما في إبليس فإنه قد انضم إلى أصله من عوارض ردية: كالحسد، والكبر، والعجب، والعصيان ما اقتضت اللعنة عليه [٧٦١/أ]، وأمر آدم بالعكس. وكذا لو قيل: النار يظهر منها أنواع من الفساد: كالإحراق والإهلاك، والطين يظهر فيه النبات والثمار، ولا يفسد ما يجاوره، بل قد يزداد وينمو، لم يبعد.

و﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ﴾ جواب عن مقتضى العلو.

﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١﴾

الضمير[2] المجرور إما للجَنَّة، أو السماء، والصورة الملكية، حتى قيل: أظلم بعدما كان نورانيًا، أو من الأرض إلى الجزائر. أنت مرجوم أي: مشتوم، أو إن رَجعْتَ إليها. وما قيل: ملعون، يلزم منه التكرار، رجمت بالشهب.

واللعنة: الطرد والإبعاد على سبيل السخط، فيشمل الطرد من الجنة، والإبعاد من كل خير.

و﴿يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: يوم الجزاء، والتقييد إلى هذا الوقت قد سبق أنه باعتبار ترتب الأثر عليها، أو أنه يجد يومئذٍ ما ينسى اللعنة معه حينئذ، قيل: إنما قال: ﴿يُبۡعَثُونَ﴾ لئلا يذوق

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٣٣/٢٦).

(٢) في جميع النسخ عدا (ح): (ضمير)، وما أثبته من (ح).

[الموت][1]، فلم يعطه سؤله، وهذا إخبار الله عن انتهاء أجله، لا إجابته لعدم المطابقة؛ لأن المراد به نفخة الموت، وهي النفخة الأولى، وأراد أن يخلص عن الموت فلم يُجَب إليه.

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

أي: لأضلَّنَّهم، أو لأحملنَّهم على الغيِّ.

فإن قيل: ما وجه الحلف بالعزة؟ وهلَّا ذكر وصفًا آخر؟

قلنا: للإشعار بأنَّ له الغلبةَ في ذلك، فإنّه كالتعريض بها.

والمُلِخص باسم الفاعل: الذين أخلصوا العبادة من غير شائبة الرياء، وباسم المفعول[2]: الذين وقاهم الله من شر الشيطان.

رفع الحق بتقدير: أنا، أو: الحق مني، أو: أملأ جهنم.

﴿ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ جملة معترضة للتأكيد، وعلى تقدير: الحق يميني أَظهَر، وقيل: هو القسم: حقًا لأملان، أو حذف الباء: اللهَ لأفعلن [3]، ﴿ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ معترض بين المقسم به وعليه، ومعناه: لا أقول غير الحق، وهو إما اسم الله أو نقيض الباطل وفيه تعظيم، والجملة بيان للحق، وقرئا مرفوعين[4] على حذف الضمير من ﴿ أَقُولُ ﴾ كقوله:

قَد أصبحتْ أُمُّ الخيارِ تَدَّعِي عَلَيَّ ذَنبًا كُلَّهُ لم أَصنعِ [5]

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، وهو ثابت في (ح).

(٢) أي: المُخلَص.

(٣) قال الكرماني: "وقيل: بالحقِّ، فحذف الجار ونصب كقولك: اللهَ مافعلت". رسالة اللباب للكرماني ١١٧/١ [تحقيق: إبراهيم الحكمي].

(٤) أي: (فالحقُّ والحقُّ). عن الأعمش وابن عباس. ينظر: شواذ ابن خالويه (ص١٣١).

(٥) البيت لأبي نجم العجلي، وهو في ديوانه (ص١٣٢).

ومجرورين[1] على إضمار حرف القسم في الأول، وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد، وهو سائغ فيه إذا شارك الأول، وبرفع الأول وجره [2]، ومنصوبين[3] على أن الأول مقسم كالله في:

إِنَّ عليك الله أن تُبايِعَا[4]

وقيل: التقدير: اتبعوا الحق، أو سأفعله [5]، ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ منصوب به، وقيل: هما قسمان.

ومن تبعك شامل للجن والإنس.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

مرجع الضمير إن جعل النبأ العظيم فهو موافق لما قيل: القرآن في أحد وجوهه، وهو أولى من تبليغ الرسالة، وعدم طلب الجعل والرزق عليه أدل على صدقه وبراءة ساحته.

---

(١) أي: (فالحقِّ والحقِّ). عن عيسى بن عمر ومجاهد. قال ابن خالويه: "جعله قسمًا، والصواب أن يخفض الثانية؛ لأن القسن يكون بالواو، ولا يكون بالفاء". ينظر: شواذ ابن خالويه (ص ١٣١)، شواذ القراءات للكرماني (ص٤١٢).

(٢) قراءة رفع الأول وجرّه مع نصب الثاني ذكرها الزمخشري من غير نسبة. ينظر: الكشاف (١١٠/٤).

(٣) قرأ عاصم وحمزة وخلف وروح وزيد عن يعقوب: (فالحقُّ والحقَّ)، وقرأ الباقون ورويس عن يعقوب وهبيرة عن حفص عن عاصم: (فالحقَّ والحقَّ) بالنصب فيهما. ينظر: المبسوط في القراءات العشر (ص٣٨٢).

(٤) صدر بيت لا يعرف قائله، وعجزه: تؤخذ كرهًا أو تجيء طائعًا. ينظر: الكتاب (١٥٧/١)، خزانة الأدب (٢٠٣/٥).

(٥) قال الكرماني: "وقيل: نُصب على الإغراء، أي: اتبعوا الحق. وقيل: تقديره: فسأفعل الحق في أمرك". رسالة اللباب للكرماني ١١٧/١ [تحقيق: إبراهيم الحكمي].

والتكلف إن قلنا يتعلق بالقرآن، أي: لا أقوله من تلقاء نفسي، وإن جعل أعم فالمعنى: لا آمركم بما لم أؤمر به. وأصل التكلف: التعسف في طلب الشيء، لا يقتضيه العقل، والمعنى: لا أتصنع مما لست من أهله، والأول أرجح؛ لقرينة ﴿إِنْ هُوَ﴾ إلا شرفٌ وعِظَة، فإنه ضمير القرآن، وكذا ضمير ﴿نَبَأَهُ﴾، فإن المراد أن جميع ما في القرآن من الدعاء إلى التوحيد ودعوى الرسالة والبعث والثواب والعقاب يعلمونه بعد الموت، وهو أولى من تقدير وقعة بدر وفتح مكة؛ لأنه أعظم فائدة. وقيل: يوم القيامة، أو عند ظهور الإسلام، وفيه تهديد لهم، والله أعلم.